الضياء
بهرا
Bahra No. 421 Sun. 10 Feb 2008

خلاصة الشعر

خلاصة الشعر

Sabah_ alkass@yahoo.com

صباح القس/ بغداد

إنّا محيّوك فاسلم ايها الطلل
وإن بَليتَ وإن طالتِ بك الطيل
والعيشُ لا عيشَ الا ما تقرُّ به
عينٍ ولا حال الا سوف تنتقل
والناس من يلقَ خيراً قائلون له
ما يشتهي ولأمّ المخطيء الهبل
قد يدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل

هذه الابيات الجميلة للشاعر عمير بن شييم المعروف بالقطامي وكان نصرانيا ممن عاشوا في فترة الدولة الاموية وهو من بني تغلب. وهو اول من لقب "صريع الغواني"، كان ممن يجوّدون أفتتاح قصائدهم.

تقول الرواية: اول ما حرك القطامي ورفع ذكره انه قدم في خلافة الوليد بن عبد الملك دمشق ليمدحه فقيل له: إنه بخيل لا يعطي الشعراء. وقيل بل قدمها في خلافة عمر بن عبد العزيز فقيل له: ان الشعر لا ينفق عند هذا ولا يعطي عليه شيئا، وهذا عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك فامتدحه، فمدحه بهذه القصيدة. فقال له الامير: كم أمّلت من امير المؤمنين؟ قال أمّلت ان يعطيني ثلاثين ناقة فقال: قد امرت لك بخمسين ناقة موقّرة "محملة" بُرّا وتمرا وثيابا.

لقد بدأ القطامي القصيدة كعادة الشعراء السابقين في الوقوف على الاطلال "وهي الآثار التي يتركها القوم عند رحيلهم من مكان الى اخر" وبكاء الاحجار والدمن وتحية ذكرى من سبق وعاشوا في هذه الديار من الاحبة وغيرهم حقيقة ام تقليدا.

وهكذا فعل القطامي في السلام على هذه الذكريات التي تشير اليها بقايا الآثار... وحتى هذه الآثار يمكن ان تتعرض للاندثار بسبب حركة الرمال، وماذا تعتقد ان يترك عرب البادية المتنقلون؟ لا أظنهم يتركون اكثر من احجار سوداء يسندون عليها قدور الطبخ ورماد محروقاتهم وبعر ابلهم ودماء ذبائحهم وهذه كلها اشياء معرضة للتغير والتغييب. ولكن حتى هذه الاشياء البسيطة في نظرنا كانت لها اهمية في اثارة لواعج الحب وتجديد الذكريات.

وقد مررنا بالبيت الثاني في حديث سابق وافردنا له مقالة خاصة.

اما البيت الثالث فهو من الابيات التي تصلح كحقيقة في كل زمن...

فالناس تدور حول الانسان الناضج او الذي ينجح في استثمار فرصة بغض النظر عن نوعية هذه الفرصة ومصدرها فالناس عليها بالنتائج وقلما يبحثون عن التفاصيل او انهم ربما يغضون الطرف عنها... فيسمعون هذا الفرد كل ما يحب ويشتهي من مديح واطراء وتملق. في حين تلام أمُ المخطيء الذي لا يحسن التصرف فيوصف بالهبل "الجنون".

وحكمة اخرى يثيرها البيت الأخير في وجوب الهدوء والتعقل لغرض تحقيق الاهداف اما العجول فربما تكثر عنده الزلات فيخسر الزمن والنتيجة.

قال اعرابي: ان هذا البيت لا يبعد ان ثبط الناس عن الحزم فلو قال بعده

وربما ضر بعض الناس بطؤهمُ
وكان خيرا لهم لو أنهم عجِلوا

ذاكرة الكتابة.. من أجل التراب الذي صار ذهبا

شاكر سيفو

الإهداء:
الى أولئك الأجداد الذين حفروا أسماءهم في دماغ التاريخ

إعتصم الاجداد عند بوابة العالم الاولى في محلة مار يوحنا، والتي كنا نسكن في قلبها وتلطيفا كنا نسميها محلة "السمقو" احد ابطال هذه المحلة كان يقسم بالرغيف كلما حاصرته الجدات بصراتهن المعقودات بفراغ جيوبهن من ثمن ربعية "حليب اسباع" وربع كيلو تتن "كسكن" كان الاخر لا ينى يسهر الليل على الحان سريانية قديمة، سأسمي هؤلاء بالحروف الهجائية كي لا أفضح سيراتهم الشخصية التاريخانية "س س وج ب وش ج وم ع وب ع وي س وم ز وس ز وي ش وق د وب ب وغيرهم ....". هؤلاء كان ترابهم فضة وغيرهم ذهب، ظلوا منشغلين بالنبع وشجرة الزيتون الوحيدة التي كنا نقف عندها طويلاً نصلي "أبانا والسلام".

وقفوا عند حافة نصي هذا، القوا محبتهم وقد افرغوا صرات الجدات من كلام النبع والبئر القديمة، كانوا يتنزهون قرب صلعة العالم أبان الحصاد يتدفقون من الليل الى النهار في أمل الحصول على ملذاتهم، طوفانات واقدام وقوارب فككها الحزن امام البيت الكبير، وكأن الريح تميد بهم وأكفهم فوق نار الرغيف، كأن جلهم يسافر مشيا على الاقدام او على ظهر دابة ليصل قرى بعيدة، مثل قرية السلطان عبد الله وتل الشعير والمكوك والديبكة وقد حملوا مع امخاخهم تاريخا سريا لحشود عوائل تنتظر الرغيف واللهب، وفي خاتمة المطاف ربما يرون اللهيب ولا يرون الطير وقد يرفعون اصواتهم الى النار من اجل التراب الذي صار ذهبا في أيدي البعض منهم، غاصوا في النبع وارخوا الكلام الليلي عن سيرة الزير سالم وقصص الانبياء وطيور الغاق التي تكسو الزروع في الربيع وقد تحولت الى سماء ملبدة بعباءات الارامل، مرة اقسم "ج ب" بالرغيف، بأن تتشابك الغصون في ياقة القميص والا تستفيق الكآبة في هواء القمصان، هناك انفتحت اصابع الندم على تاريخ ساخن لوطن ضاع بين ايقونات العصملي وسيان السفر برلك جمع مخاوف الحارة مثل قطن اخضر وايقظ الشارع ليسترد مجد الجدة الاولى شمورامات ويطرد الحرامية من عبر زقاق ضيق بين بيت جدي "ش د" ودكان الحلاق العم "ي س"، طرد الرجال اللصوص بالعصي والمرارات وفاض المجلس بالعرق المحلي، ماركة مسجلة بأسم "س س" شركة السمقو، لقد خصني ذلك التاريخ حتى هذه اللحظة.

فلم يعد خبز الكآبة ينحدر من تنانير المخاوف، هناك وظفت ايامي في حقول النرجس وخاصمت صحبي "ه ب و ت ع و خ ع وري....." في ساحة المدرسة التغلبية، كان ككي "ب" مشرفا قديما لا يعتنق في رقبته مثل المعلم "اب" الذي كان يبدو وكأنه وزير المعارف انذاك.. في حارتنا كانت السنة تمر في خمسة فصول، نعم، كان الزمن عندنا ينتظر ليمر الملائكة على ناقوس كنيسة مار يوحنا ويلقون سلام الرب على العالمين.

الافق هنا يحتشد بالنجوم وتزركشه العصافير والظلال الجريحة، وتتفيا الكائنات عبر شقوق ادعية القديسين، وترحل الذكريات لتذكر بقمصان الاجداد وبتك الأكمام التي كانت تحتشد بكآبة ابراهيم وحزن يعقوب والام ايوب وحسرة أدم وعفة مريم، كانت دماؤنا مرقونة بكتاب الجغرافية والتاريخ والعلوم والقراءة والحساب، كانت البلاد تجتاح أخضرار الالم في سواعد الغصون تختار الوهم و ترفن قيد الحرب، كانت دماء اجدادي تخضر في لوعة الحنان والعناء الذي يهجر الجوع في سنوات القحط ويجرح قلب الارض ويستعير اضلاعها لموسم قادم.. وكنا نبني سقوف نهاراتنا من غناء الفواخت وعذابات المياه في الأبار الأرتوازية، نتصفح حياة جديدة حين تفاجئنا الجنيات وهن يرقصن "الشيخاني" مع جدي قرب المسطح المائي لدارنا ودار آل حنو وموعي، كان علينا أن نبدأ من عشبة تنوح في جرح جسد هارب من لحاف الخليقة، في حين كانت سعلاة بلاد الله بحصانها تقتحم نعاسا وتختطف الفتيات الجميلات من أثدائهن وتدس ضفائرهن في وسادة حمراء لي زرعت فيها جدتي "انو - ضفيرتها" ونقشت فيها جدتي "سارة - أدعية لمار بهنام"، وغادرنا الحارة في ظهيرة قائظة تحت سياط الحصاد كي لا ننسى أن سعلاة بلاد الله تقتحم المراة وتلطخ جبينها وتأخذنا غرباء الى بلد الله البعيدة.

إصدارات

إصدارات
إصدارات
إصدارات

كل الآرض عند الحكماء سوية

كل الارض عند الحكماء سوية
نزار حنا الديراني

كتاب آخر للاديب نزار حنا الديراني صدر مؤخرا باللغة السريانية حوى مجموعة من أشعار سريانية حاول المؤلف أن يقدم صورا شعرية جديدة لخدمة اللغة السريانية والأدب السرياني المعاصر. جاء الكتاب بالقطع المتوسط وبـ٦٨ صفحة وبغلاف ملون.

أوجاع على مقصلة الحب

*صدر كتاب شعر جديد للشاعرة نهى لازار حمل عنوان " اوجاع على مقصلة الحب " ضم قصائد واشعارا منشورة في عدد من النشرات والجرائد واخرى خطت أناملها بمناسبات مختلفة. والشاعرة من مواليد كرمليس ١٩٧٣، لها كتابات مسرحية عديدة ونشرت مجموعات شعرية سابقة بالعربية والسريانية.

نهى لازار
أوجاع على مقصلة الحب
شعر
عكار 2007

بائعة السمك

عبد صبري أبو ربيع

رميتُ عينيّ على عينيها
جالسة تقشعر من هذا الصقيع.. الذي أدمى محجريها
وفرخان مرتعشان يلوذان.. تحت ابطيها
والسمك الطازجَ يرمي شباك الاشتهاء.. على البطون
فمٌ ينزّ من جيوبٍ تعصف بها الريح
وفمٌ يمتلئ شحماً.. يُلوّحُ.. بالسعر الشحيح
والفرخان مبللان بالرذاذ.. تحت ابطيها
فمّان يدرآان الاشتهاء.. بجمع العيدان
اهتزت في جلستها.. تخدرها الساعات.. تمر كخيوط الليل
علي الرصيف المكتحل بالماء والنفايات
ويدٌ على عباءتها.. تواسي الاسماك
تحتضنهنّ بالارتجاف والانتقاء..
وتصنع على شفتيها ابتسامة غبراء
تضمُ بين ساعديها فرخان.. متحجران من الصقيع
يختبئان تحت عباءتها.. وابتسامة رجفاء.. تتراقص بين الاسنان
هذا صباح مقرور.. بالريح المنتفخة بالبرد
تجوب العربات والوجوه المنقبضة.. التي تموت فيها الابتسامات
مقعرة ملغومة بالاحتقان.. انكمشت مثل قنفذ.. يتكور
من قطٍ هاربٍ في الليل.. صاحت بصوت مرتعش
سمكٌ لذيذ.. سمكٌ لذيذ
صوتها يختزن الاشتهاء.. بين البلعوم والشفتين..
فرخان هزيلان.. بين جلد وعظام.. وفمٌ يفتش عن الاشتهاء
الملقي باهمالٍ على سقوف العربات.. وهي تحتبس الافصاح
عن شئ يدور بين البطن والانفاس المختنقة تحت العباءة
المعطرة برائحة الاسماك.. كان كل شئ يجري.. مثل بندول ممزق الجوانب
كل وجهٍ يخترق السوق.. يحمل الاعباء لوحده
كل شئ صار مشوهاً.. مثل عربة هرمة
ولا زالت تعتصر الساعات.. بوجه فارغ من الابتسام
سمكٌ لذيذ.. سمكٌ لذيذ
وصوت مرتعش من الصقيع.. يدفئ جلود الصغار

غاب "الجناح العراقي" عن معرض القاهرة للكتاب وحضر المؤلف العراقي

عالية طالب*

أربعون عاما ومصر الشقيقة تحتفل بالكتاب العربي وتقيم الندوات والمحاضرات والآماسي والورش في أجنحة وخيم ثقافية تتوزع على مساحة المعرض الذي أحتوى العقل العربي من المشرق الى المغرب جهود كبيرة بذلت من قبل رئيس هيئة الكتاب هذا العام للارتقاء بمعرض الكتاب في دورته الأربعين. ليحقق التواصل مع الأحداث الكبري ذات السمت الثقافي مثل مئوية جامعة القاهرة. ومئوية السينما. ومئوية كلية الفنون الجميلة. وفي لمسة وفاء احتفلت هذه الدورة بمؤسسة المعرض د. سهير القلماوي. فخصصت لها عدة ندوات يتحدث فيها بعض تلاميذها.. كما أكد المعرض موقفه العربي باختيار دولة الإمارات العربية ضيف شرف هذا العام. لتصبح الإمارات في مواجهة ثقافية حامية مع ألمانيا وإيطاليا الضيفتين السابقتين. كل هذا الزخم الهائل من الكتب والابداع والعراق بلد الثقافة والابداع والفنون منذ "جلجامش" الذي رأى كل شي ولحد اليوم، غائبا، كل أسماء الدول العربية ودور نشرها موجودة وأسم العراق لا يحتل مكانا الا في المؤلفات العراقية التي توزعت على دور النشر العربية ومنها البلد المضيف القاهرة، أسماء عربية وكوردية وتركمانية وسريانية وآشورية وكل الوان الطيف العراقي بلا تمييز موجودة لكن تحت خيمة أجنحة الدول العربية، وتتساءل وانت تقرأ تلك الاسماء وتناديك بسهولة ما بين التأريخ والتراث والتحقيق والشعر والقصة والمسرحية، ترى لماذا لم يحتل العراق جناحا خاصا به، ولماذا غابت دار الشؤون الثقافية وبيت الحكمة وجامعة بغداد وكل الجامعات العراقية بكل مؤلفاتها الثرية عن المشاركة في المعرض، وهل يكفي أن يكون المؤلف العراقي موجودا أم أن اسم العراق الذي غاب ترك غصة في قلوبنا وقلوب الاشقاء الذين يعرفون أهمية وجوده بينهم دائما.

وكان العزاء في مشاركة المثقف العراقي المتواجد في القاهرة أو الزائر اليها في النشاط الثقافي من ندوات إبداعية ونقدية وأمسيات تقام في سراي ٦ أكتوبر ومخيمات عدة. مثل "عكاظ" وغيره.. وعبر أسماء ذات اختصاصات في الشعر والبحث والقصة والرواية، على الرغم من أن هذه الأنشطة حاولت الانغلاق على مجموعة بعينها الا أن الوجود الثقافي العراقي لا يمكن اغفاله دائما.

وشهد المعرض شوقا لتقليد كان متبعا سابقا بأسم مخيم "المنتدي" الذي أقيم عدة سنوات. وأوقفه بعد ذلك المشرفون عليه. وتمثل في تقديم "تجارب خاصة" للمبدعين الكبار في الظل. وكذلك "التجمعات الأدبية والثقافية".. وبعد توقف "المنتدي" تبني مخيم عكاظ هذه التجربة.. ثم حولت الى المقهي الثقافي على فكرة تقديم التجمعات الثقافية المستقلة، وهذا الامر لاقي قبولا ورفضا بنفس النسبة اعتمادا على فكرة ان نجاح تجربة ما لابد ان يؤكد اهمية استمرارها وليس استبدالها، وهذا ما أثار في نفسي تساؤلات ضخمة، لماذا نوقف أفكارنا الايجابية والتي منها مشاركتنا لاخوتنا في أنشطة تؤكد حضور العقل العراقي رغم كل الظروف القاسية التي يمر بها؟، ولماذا ننسى أننا منذ أعوام واعوام جددنا أفكارنا وبحوثنا ومؤلفاتنا بطريقة لم تنس حصة الماضي والتراث العربي الأصيل لكن دون أن تستحوذ تلك الحصص على حاضر العقل المتجدد؟، وهوما كان واضحا بكثافة في اغلب الاجنحة العربية المشاركة، اذ استحوذت كتب التراث ومؤلفات اعادة الطبع للستينات والسبعينات لكتاب معروفين على اغلب الاجنحة ودور النشر، وكأن العقل العربي استحال الى نضوب يتوارى خلف كلمة أننا أبناء واحفاد الرازي وأبن سينا والفارابي والنفري والغزالي وأبن تيمية والطبري والزمخشري وابن قتادة، وانا هنا لا انكر فضل هذه الأسماء المهمة على مسيرة العقل العربي، لكنني اطالب بتجديد المكتبة العربية، وتخصيص قواطع المؤلفات الجديدة بسنوات اصدارها لنعرف حركة التأليف واستمراريتها وثرائها الحالي الذي يؤكد أحقيتنا في التباهي بعطاء الاجداد الذين اكمل الاحفاد مسيرتهم ببهاء، وهذا ما اعتقده متحقق تماما في العقل العراقي الذي عملت يوما في مكان زاخر بالتجديد والمواكبة في بيت الحكمة العراقي واعرف حجم ما اصدر ذلك البيت من ثروات فكرية يحق لها وحدها ان تقيم معرضها الذي سيملأ العقول ويشغل الناس أمدا طويلا.

وتبقى أمنيتي القوية بأن أرى أسم "العراق" زاهيا براقا في العام القادم بمعرض الكتاب القاهري وبكل معارض الكتب العربية وقبل كل هذا وذاك أن يكون معرض بغداد للكتاب قد أستضاف كل الأشقاء على أرضه الأمنة قريبا أن شاء الله.

* موقع كتابات

فيدريكو غارثيا لوركا.. جَمال كل الأشياء الذي لا يُقاوَم*

ترجمة: تحسين الخطيب

مرّةً، ذات حشد حميم، في Residencia de Estudiantes ٢ قال المعماريّ لُكوربُوزيي(٣) بأنّ أكثر ما أحبّه في إسبانيا كان التعبير dar la estocads (أنْ تقوم بقتل نظيف) ذاك أنّه يُعبّر عن نيّة الذهاب إلى الموضوع مباشرةً وتوق البراعة في ذلك سريعا، دون التوقّف عند الثانويّ والزّخرفيّ. إنّني أؤمن بذلك المذهب أيضا، رغم أنّ سيفي، بطبيعة الحال، ليس سيفاً رشيقاً ونظيفاً. يربض الثّور أمامنا، ويتوجّب علينا قتله. على أيّة حال، تلك هي نيّتي.

ولأنّني أدرك مدى صعوبة هذا الموضوع، فإنّني لا أعرِف، بل فقط أشدّد. لا تسألوني عن الحقيقة والبُهتان. لأنّ "الحقيقة الشّعريّة" تعبير يتبدّل تبعا للشخص الذي ينكبّ عليه. قد يكون الضوء، عند دانتي، قبحا، عند مالارميه. علاوةً على ذلك- مثلما يُدرك كلّ واحدٍ منّا الآن- فإنّ علينا عشق الشعر. فالشعر كالإيمان- لا يُقصد فهمه بل استقباله في مقام من الفضل. لا يتوجّب علينا القول" هذا واضح"، لأنّ الشعر غامض، ولا يتوجّب القول" هذا غامض"، لأنّ الشِعر واضح. ما يتوجّب علينا فعله: أنْ نُفتّش عن الشِعر مُفعمين بالحيويّة والنشاط والقوّة حتى يستسلم لنا. لكنّنا نحتاج إلى نسيان الشعر قبل أنْ يهبط عارياً بين أذرعنا. ما لا يُطيقه الشعرُ هو اللامُبالاة. فاللامُبالاة كرسيّ الشيطان. لكنّها اللامُبالاة تلك التي نسمعها تهذي في الشوارع، غريبة الثياب، قنوعة، ومُهذّبة.

إنّ المُخيّلة، بالنّسبة لي، مُرادفة للاكتشاف. أن نتخيّل: أن نكتشف، أن نحمل كسرة الضّياء إلى شبه الظّلّ الحيّ، حيث توجد كلّ الاحتمالات المُطلقة، الأشكال، والأعداد. لا أومنُ بالخلق بل بالاكتشاف، ولست أومنُ بالفنّان الجالس في مقعده، بل بالذي يجوبُ الطّرقات. المُخيّلة وسيلة روحيّة، مُستكشِفةٌ مُلهِمَةٌ للعالَم الذي تستكشفه. المُخيّلة تُهيّئ وتمنح حياةً مُشرقة لشظايا الحقيقة المحجوبة، حيث يضجّ الانسان.

نادراً ما تكتشفُ المُخيّلة أشياءَ خُلقتْ للتوّ، إنّها لا تُلفّق، وكلّما فعلتْ ذلك يهزمها جمال الحقيقة. تُطاردُ المخيّلةُ صُوراً بوسائل صيدٍ مُجرّبَة وأصيلة. دائماً ما تكون آليّات المُخيّلة الشعريّة هي ذاتها: تركيز، وثبة، تحليقة، عودة بالكنز، ثمّ تبويب وانتقاء لما تمّ جلبه. يُهيمن الشاعر على مخيّلته ثمّ يُطلقها حيث يشاء. وحين لا تَسُرّه خدماتها، يُعاقبها ثمّ يُطلقها ثانية، تماماً مثلما يُعاقب الصيّاد كلبه الذي يتوانى في جلب الطائر. أحياناً، يكون الصّيد رائعا، لكنّ أكثر الطيور جمالا وأكثر الأنوار إشراقاً غالباً ما تبتعد.

تَقيّدُ الحقيقةُ المُخيّلة: لا تستطيعُ تخيّل ما لا يُوجَد. إنّها تحتاج إلى أشياء، أعداد، كواكب، ثمّ تتطلّبُ أكثر طرائق المنطق صفاءً لتربط تلك الأشياء ببعضها. تحوم المُخيّلة فوق العقل مثلما يحوم العبير فوق الزّهرة، يندفع مع النسيم، لكنه يظلّ مشدوداً إلى مركز منبته الذي يفوق الوصف.

ترتحل المخيّلة الشعريّة، تُحوّل الأشياء، وتمنحها معناها الخالص، ثمّ تعرّف علاقات لم يرتبْ فيها أحدٌ قط. لقد كانت المُخيّلة هيَ التي اكتشفت الجهات الأربع الرئيسة، وهي التي اكتشفَ العلاتِ الوسيطة للأشياء، لكنها لم تكنْ، دوماً، قادرة على إبقاء يديها في الجمر المُشتعل بلا منطق أو إحساس، حيث نعثر على إلهامٍ حرٍّ عفويّ.

من الصّعب على ما يُسمّى بشاعر التخيّل الصّافي أنْ يُنتِج انفعالاً حادّاً بشعره. يستطيعُ، بالطّبع، انتاج انفعالات شعريّة، ويستطيعُ، بتقنية النظم، إنتاج الانفعال الموسيقيّ المثال للشعر الرومانسيّ، الذي يفتقر، في الغالب، إلى المعنى العميق للشاعر الخالص. لكنّ الشاعر التخيّليّ لا يستطيعُ انتاج انفعال شعري بكر، عفويّ، مُتحرّرٍ من الجدران- شعر دائريّ بقوانينه المُبتكرة للتوّ. المُخيّلةُ مُجدبة، والمُخيّلة الشعريّة، كذلك، أكثر.

الحقيقةُ المُدركَةُ، حقائقُ العالَم، وحقائقُ الجسد البشريّ، أكثرُ احتفاءً بظلال اختلاف بارعة، وأكثرُ شعريّة ممّا تكتشفه المخيّلة. كثيراً ما نلاحظ ذلك في الصّراع بين الحقيقة العلميّة والأسطورة المُتخيّلة، حيث- شكراً لله- ينتصرُ العلمُ. ذاك أنّ العلم أكثر غنائيّة- ألف مرّة- من أيّ مَبحث في أنساب الآلهة.

لقد اخترعت المُخيّلة البشريّة المَرَدَةَ لتنسبَ إليهم بناء الكهوف العظيمة أو المُدُن المسحورة. ثمّ، بعد ذلك، علّمتنا الحقيقةُ بأنّ هذه الكهوف العظيمة صنعتها قطرةُ ماء. قطرةُ الماء الخالصة، الصّبُورة، الأبديّة. في هاته الحالة، مثلما في أخريات كثيرة، تنتصرُ الحقيقةُ. ثمّ بعد ذلك كلّه: أنْ يكونَ الكهف نزوة الماء الغامضة (تقيّدها وتنظّمها قوانينُ أبديّةٌ) أكثر جمالاً من نزوة المردة الطّارئة التي لا معنى آخر لها سوى ذلك الذي في العلّة.

الاستعارةُ هي ابنةُ المُخيّلة- الابنة المنطقيّة والشّرعيّة- التي تُولَدُ، أحياناً، من ضربة حدْس مفاجئة، وأحياناً تُبصر الضّياء بالكرب البطيء للتمعّن.

يجوبُ الشّاعرُ مُخيّلته، مقتصراً عليها. يسمع تدفّق أنهار عظيمة. يشعر جبينه ببرودة القصب المُرتعش وسط اللامكان. يريد الإصغاء إلى حوار الحشرات أسفل الأغصان. يُريد التغلغل في دفق النسغ في الصّمت المُعتم لجذوع أشجار هائلة. يُريدُ إدراك أبجديّة مُورس التي تكلّم بها قلبُ الفتاة النائمة.

يُريدُ. كلّنا نُريدُ. لكنّ خطيئته: أنْ يُريد. على المرء أن لا يُريد- عليه أنْ يعشق- ولهذا يُخفق. لأنّه، حين يُحاول التعبير عن الحقيقة الشّعريّة لأيّ من هاته الموضوعات، يتوجّب عليه، حينئذ، الاستفادة من التناظرات الوظيفيّة التشكيليّة التي لن تكون مُعبّرة بما يكفي، لأنّ المُخيّلة لن تستطيع بلوغ تلك الأعماق.

ما دام لا يحاول تحرير نفسه من العالم، يستطيع الشّاعرُ الحياة سعيداً في بؤسه الذّهبيّ. لقد كانَ لكل المنظومات البلاغيّة، كلّ المدارس الشّعريّة في العالم- من اليابانيّين فصاعدا- خزانتها الرّائعة من شموس، أقمار، زنابق، مرايا، وغيوم كئيبة كان يستخدمها كل المفكرين على جميع الأصعدة.

لكنّ الشّاعر الذي يُريد التّحرر من المُخيّلة، وعدم الاكتفاء بالصّور التي تنتجها أشياءُ حقيقيّةٌ فحسب، يتوجّب عليه التوقّف عن الحلم والبدء في الرّغبة. حينئذ، حين تصبح حدود مخيّلته لا تحتمَل ويُريد تحرير نفسه من عدوّه: العالَم، فإنّه يعبرُ من الرّغبة إلى العشق. ينتقل من المخيّلة، التي هي إحدى حقائق الرّوح، إلى الإلهام الذي هو إحد مقامات الرّوح. ينتقِل من التحليل إلى الإيمان، فيصبح الشاعر (الذي كان، في السّابق، مُستكشفا) إنسانا متواضعا يحمل فوق كتفيه جمال كل الأشياء الذي لا يُقاوَم.

تنقَضُّ المخيّلة على الفكرة بضراوةٍ من كلّ الجهات، لكنّ الإلهام يستقبلها فجأةً ويلفّها بضياء رقيق خافق، كتلك الزّهرات الكبيرة آكلة اللّحم التي تغلّف النحلة المُرتشعة، ثمّ تُذيبها في النسغ الحرّيف الذي يتفصّد من بتلاتها عديمة الرّحمة. المُخيّلة بارعةٌ، مُنظّمةٌ، حافلةٌ بالألوان، لكنّ الإلهام مُتنافرٌ، أحياناً لا يُميّزُ المرء، وغالباً ما يضعُ دودة زرقاء شاحبة في عينيّ الوحي الصّافيتين. ذاك لأنّه يُريد ذلك، دون تقديم أيّ تفسير. تخلق المُخيّلة جوّاً شعريّاً، ثمّ يخلق الإلهامُ الـ "حقيقة الشّعريّة".

مثلما للمُخيّلة منطقٌ إنسانيٌّ، فإنّ للإلهام الشّعريّ منطقٌ شعريّ. تُصبحُ البراعة الفنّيّة والمُسلّمات الجماليّة بلا أيّ نفع يُرتجى. ومثلما المخيّلة اكتشاف فإنّ الإلهام موهبة، موهبةٌ تفوق الوصف. لقد كان خوانْ لاريْ من قال: "هذا، الذي يأتي إليّ لبراعتي."

مهمّة الشّاعر: أنْ يمنح حياةً animar، وفي المعنى الدّقيق للكلمة: أنْ يمنح روحاً. ذاك أنّي شاعرٌ حقيقيٌّ، وسأبقى كذلك حتى مماتي. لن أتوقّف عن جلد نفسٍ بالسّياط، لن أفقد الأمل بأنّ جسدي سيطوف، ذات يوم، بدم أخضرَ أو أصفر. أيّ شيء أفضل من البقاء جالساً خلف النافذة تنظرُ إلى ذات المنظر الطبيعيّ. التناقضُ نور أيّ شاعر. لم أُحاول فرض موقفي على أحد -فذلك لا يليقُ بالشّعر. لا يحتاجُ الشّعر إلى مهنيّين مهرة، بل إلى عشّاق، ثمّ يمدُّ عُليقا وكِسراً من زجاج إلى تلك الأيدي التي بعشقٍ تفتّش عنه.

هوامش المترجم:

1- عنوان المقالة بالانجليزيّة: The Irresistible Beauty Of All Things، وهي من محاضرة للوركا بعنوان "المخيّلة، الإلهام، المُراوغة Imagination, Inspiration, Evasion" أعاد ترتيبها، وترجمها، عن الإسبانيّة، كريستوفر مورير، وذلك من بيانات الجرائد المنشورة بين ١٩٢٨ و١٩٣٠. ظهرت في العدد السّابع من Jubilat، ثم قام سباستيان آروز بتضمينها كتابه: رسائل وتذكارات سلفادور دالي وفيدريكو غارثيا لوركا Letters and Mementos of Salvador Dali and Federico Garcia Lorca، نُشر في خريف ٢٠٠٤، عن دار Swan Isle Press. المصدر: مجلّة هاربرز Harper's، عدد سبتمبر ٢٠٠٤، ص ص ٢٦-٢٨. ٢- حرفيّا: بيت الطّلبة، وهو الاسم الذي كان يُطلق على المراكز الثّقافيّة في مدريد. كان لتلك المراكز عظيم الأثر في تشكيل ما عُرف بالعصر الفضيّ للحياة الثّقافيّة الاسبانية، كما وساهمت في خلق بيئة ابداعيّة لمعظم كتّاب وفنّاني ومفكري جيل الـ ٩٨ (أمثال: ميكيل دي أونامونو، بيّو باروخا، أنطونيو متشادو وخوان رامون خيمينيث) وجيل الـ ٢٧ أمثال: لوركا، لويس بونويل، سلفادور دالي، رافائيل ألبيرتي، لويس ثيرنودا.

3- Le Courbusier (1887-1965): معماريّ، رسّام، مثّال، وكاتب فرنسيّ وُلد في سويسرا.

*موقع إيلاف